القرآن الكريم ومخالفة مقتضى الظاهر لقواعد النحو العربي

م. م. علي فاخر حميد المديرية العامة لتربية ذي قار

afakher299@gmail.com

الملخص:

إنَّ الحديث عن وقوع ما ظاهره مخالفة لقواعد العربية في القرآن الكريم، يصب في خانة الدفاع عنه وفق الهدف الذي نريده وهو أمر يقودنا إلى حقيقة مفادها إنَّ التقصير والخلل واقعان في قواعد النحويين لا في القرآن الكريم، وإنَّنا نتقبل الأسلوب القرآني دون أن نجد علَّة تحتاج الى كشف أو غموضا يحتاج إلى بيان، مع عرض محامل الوقوع والتوجهات المختلفة للنحويين والمفسرين لما ظاهره مخالفة في بعض مواضع القرآن الكريم، مع بيان إنَّ ما قاموا به من تخريجات لتلك المواضع يُعد تغطية على مواضع الخلل في القواعد العربية وإنَّ إعجاز القرآن وتحدِّيه للأجيال ثابت وصحيح، فهو وردٌ من الإعجاز لا يخلُّ ولا يمكن أن ينسب إلى الغلط، إذ ليس من اللازم إطاعة النحاة مهما شعروا بوجوب طاعتهم وعلوَّهم، بل اقتضت المصلحة عصيانهم وهو الأولى لهذا، ويؤيد ذلك سبق نزول القرآن لتلك القواعد، التي لم تكن موجودة على الإطلاق في زمن نزوله.

الكلمات المفتاحية: القرآن، النحو العربي، المخالفة، التفريط، البيان

Summary :
Discussing the occurrence of what appears to be a violation of Arabic grammar rules in the Holy Quran falls within the realm of defending it, in accordance with our intended objective. This leads us to the fact that the shortcomings and errors lie in the grammarians' rules, not in the Holy Quran. We accept the Quranic style without finding any reason that needs to be exposed or any ambiguity that needs to be clarified. We also present the various perspectives and approaches taken by grammarians and commentators regarding what appears to be a violation, found in some passages of the Holy Quran It is stated that what they have done in terms of
deductions for those places is considered a cover-up of the defects in the Arabic rules, and that the miraculous nature of the Qur'an and its challenge to generations is proven and correct, as it is a miraculous occurrence that does not fail and cannot be attributed to error, as it is not necessary to obey the grammarians no matter how much they feel the obligation to obey them and their superiority ،
rather the interest requires disobeying them and that is more appropriate than obeying them, and this is supported by the fact that the Qur'an was revealed before those rules, which did not exist
at all at the time of its revelation.
Keywords: Quran, Arabic grammar, transgression, negligence, rhetoric

المقدمة:

تشوب علاقة القرآن الكريم بالنحو العربي حساسية شديدة عند شريحة كبيرة من العلماء والمثقفين، وكأنَّ هذه المسألة الخطيرة دائرة للاتهام، ما إن ولج بابها أحد إلّا واتهم بالباطل، ولعل أهم الاسباب هو النظرة القدسية التي تتمتع بها قواعد

النحو لديهم، ناهيك عن قدسية القرآن الكريم وعظمته في نفوس المسلمين جميعًا.

ولعل أهمَّ أسباب القداسة التي تلازم قواعد النحو العربي، هو شيوع فكرة تأسيس قواعده ووضع أصوله من قبل الإمام علي (عليه السلام (وهذه إحدى أشهر الروايات في نشأة علم النحو وقد ذكرها الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ناقلا عن المازنيّ أنه قال: "السّبب الذي وُضعت له أبواب النحو أنَّ ابنة أبي الأسود قالت له: ما أشدُّ الحرِّ؟ فقال: الحصباءُ بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته. فقال: أو قَد لحن الناس! فأخبر بذلك عليًا (عليه السلام (فأعطاه أصولا بنى منها، وعمل بعده عليها" (الذهبي، شمس الدين محمد1938، ج- 1، ص6).

مقتضى الظاهر لغةً:

هو ما برز وظهر، وخلاف الباطن، من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، ويرد بمعنى المدبر للأمر، قلب فلان أمره ظهرا لبطن، والمعنى الذي يسبق إلى فهم السامع من اللفظ دون أن يمنعه مانع (ابن منظور،1882 ج9-199).

مقتضى الظاهر اصطلاحًا:

ما يقتضيه الظاهر اللغوي المباشر للكلمة، يُستخدم هنا بمعناه الاصطلاحي، وهو المعنى الذي تسبق فهمه من اللفظ مباشرةً في غياب أي سياق حالي، والذي قد يحتاج إلى دليل واضح لصرفه عن ظاهر المعنى الذي يسبق إلى الذهن مباشرة من دون اللفظ وهو ما يقتضيه حال المستمع أو المقام من التأكيد أو غيره، وهو ما يخالف الظاهر اللغوي أحيانا (عتيق، عبد العزيز، 2009، ص61).

ويُعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو أن يخرج المتكلم عن ظاهر الكلام ليناسب الحال الذي يخاطب فيه، كما في حالة إنكار السامع للحكم، فيؤكد المتكلم كلامه الخطاب بالمضمون أو الشك فيه أو إنكاره له هو ما يقتضيه الظاهر، لكن إيراد الكلام لا يكون جاريًا على مقتضى الظاهر، فقد نجد اعتبارات

المتكلم إلى أن يورد الكلام على صورة تخالف الظاهر، أو على صورة تخرج به عن مقتضى الظاهر على رأي البلاغيين (عتيق، عبد العزيز، 2009، ص62).

ومن الاعتبارات التي يلحظها المتكلم وتدعوه إلى الخروج بالكلام عن مقتضى الظاهر، قوله تعالى: ((وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)] يوسف: 53[وهو أن ينزل خالي الذهن منزلة المتردد الشاك إذا تقدم في الكلام ما يشير الى حكم الخبر ومضمونه.

فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أنَّ المخاطب بها خالي الذهن من الحكم أو من مضمون قوله تعالى، ولكن لما كان مسبوقا بجملة تشير في مضمونها إلى أنَّ النفس، محكوم عليها بشيء غير محبوب أو مرغوب فيه، مما أصبح المخاطب متطلعا إلى نوع هذا الحكم، الذي يجهله ولا يدري حقيقته، ومن أجل ذلك نزّل هذا المخاطب منزلة المتردد الشاكّ، وألقي إليه الخبر مؤكدا استحسانه (عتيق، عبد العزيز، 2009، ص62).

مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

الحال هو الأمر أو المناسبة التي تستدعي إلقاء الكلام بصورة معينة، مثل التهنئة أو الإنكار، ومقتضى الحال هو الصورة أو الكيفية التي يقتضيها هذا الحال، والتي قد تختلف عن الظاهر اللغوي، إذا كان السامع لا ينكر حكمًا معينًا (مثل وجوب بر الوالدين)، فالظاهر اللغوي هو إلقاء الخبر غير المؤكد ولكن إذا كان السامع قد عُصى في هذا الأمر، فيمكن أن ينزّل منزلة المنكر، فيلقى عليه الخبر مؤكدًا بصيغة تدل على الاستحسان (رزق، سميرة عدلي، ج2-317).

العلاقة بين القاعدة النحوية والسياق القرآني:

لكل نوع من أنواع السياق خصوصية معينة فالسياق المقالي، يبرز بوساطة البنية النحوية وعلاقة الكلمات ومواقعها من حيث التركيب كالتقديم والتأخير والذكر والحذف وزمن الفعل والسوابق واللواحق والزوائد فكل تغيير في التركيب أو المبنى ينتج عنه تغيير في المعنى، وفيما يخص الخطاب القرآني ومخالفة مقتضى

الظاهر، فقد كان له الأثر الكبير في اختلاف الدلالة وتوجيه المعنى، وهذا الاختلاف في الخطاب يؤدي إلى اختلاف في الدلالة السياقية، وينتج لنا دلالات غير التي وضعت له في أصل الاستعمال خارج السياق القرآني (العابدي، علي عبد الأمير2021، ص).

من يخوض ويتوغل في الحديث عن هذه المسألة في إثبات صحة القرآن نحويًا لا يتعدى أحد شيئين:

أولهما: الإقرار والتسليم لقواعد النحو العربي، واعتمادها وسيلة للطعن في كل من يخرج عنها ويخالفها.

ثانيهما: التعرف على الخلل المنهجي الذي اعتمده العلماء الأوائل ممن وضعوا قواعد النحو، فنتج عنه قواعد لا تمثّل كل أساليب العرب في كلامها وأُخر خاطئة تعارضت بعض الآيات القرآنية معها- التي سنعرض أنموذجا منها في هذا البحث- وبه لا تصلح هذه القواعد أن تكون معيارًا لمحاكمة النصوص الدينية وميزانًا لمعرفة الأحق، فيتم القبول والتسليم له متى ما وافق كلامه تلك القواعد، والعكس صحيح (باقر، بشار2019، ص9).

فإذا كان السياق القرآني قد خالف قواعد اللغة العربية على الجوانب الثلاثة، الإملائي والصرفي والبلاغي، ليس غريبًا أن يكون مخالفا لها من الجانب النحوي؛ لذا فالخلاف الذي يجعل من الفكرة الواحدة أفكارًا متعددة ثم يطورها يقف بنا على جُل علوم اللغة ودقائقها ويحفزنا دومًا على البحث والدرس والكشف عما فيه من معطيات لتأصيلها والإفادة منها في وضع أعمال جديدة تزيد البناء سموًّا ورفعةً، وقد وجد الباحث أنَّ الخلاف السائد بين القرآن الكريم وما جاء به النحويون من قواعد، لم يدرس دراسة شاملة عامة جديدة، تسهم في إبراز حقائقه وتطوي كشحًا عن توارث الأوهام والمظان النحوية القديمة) (باقر، بشار2019 ص10) فالمخالفات الإملائية في القرآن الكريم كثيرة نأخذ منها قوله تعالى: {فِطْرَت اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}]الروم: 30[التي كان يجب أن تأتي بحسب قواعد الاملاء{فِطْرَة اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}ومما شذ عن قياس

النحويين{ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ }]المجادلة: 19[والقياس فيها (استحاذ) قلب الواو ألفًا فتصحيح الواو مخالفًا للقياس وغيرها.. في حين نجد (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) هي من الكلمات الطويلة في القرآن، وكانت قد ذُكرت في سورة الحجر{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} [الحجر: 22]، وتتكون من أحد عشر حرفًا، وكذلك كلمة (ضِيزَى) التي تعدُّ من المفردات الغريبة في العربية وقد استعملها القرآن الكريم في قوله: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}[النجم: 22] (باقر، بشار2019، ص10)

ولم تخفَ هذه المخالفات عن العلماء إلَّا أنَّ أغلبهم قد لجأوا إلى تبريرها وحملها على وجوه ضعيفة أو شاذة، وفريق آخر أقرَّ بوجودها، وحملها، مؤكدا على أنَّها تمثل طعنًا في القواعد اللغوية ولا تمس قداسة التنزيل الحكيم بشيء (الرافعي، مصطفى صادق1928، ص68).

آراء العلماء في المخالفة:

1- أبو القاسم الخوئي: قال في البيان: ((إنَّ القرآن نزل في زمان لم يكن فيه لقواعد اللغة العربية عين ولا أثر وإنما أُخذت هذه القواعد من استقراء كلمات العرب البلغاء وتتبع تراكيبها، والقرآن لو لم يكن وحيًا إلهيًا- كما يزعم الخصم- فلا ريب في أنَّه كلام عربي بليغ فيكون أحد المصادر للقواعد العربية ولا يكون القرآن أقل مرتبة من كلام البلغاء الآخرين المعاصرين لنبي الاسلام، ومعنى هذا أنَّ القاعدة العربية المستحدثة، إذا خالفت القرآن كان نقصًا على تلك القاعدة لا نقدًا على ما استعمله القرآن (الخوئي، ابو القاسم، 1974، ص179).

2- السيد محمد صادق الصدر: ويقول السيد في مقدمة تفسيره (منَّة المنَّان): ((هذا وقد عبر بعض فضلاء طلابي عني بأني أخذت خلال هذه المباحث بإسلوب (اللاتفريط) في القرآن الكريم، وهذا واضح من بعض المباحث الآتية، ولعل أول تطبيق لهذا الأسلوب هو ما ذكرته في كتابي (ما وراء الفقه) في الفصل الخاص بالقرآن الكريم من كتاب الصلاة، حيث ذكرت في محصله أنَّ القرآن

ممكن أن يكون محتوياً على اللحن بالقواعد العربية ومخالفتها وعصيانها كما هو المنساق من بعض آياته، وذلك لأن مقتضى قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء}الأنعام: 38 هو احتواء القرآن الكريم على كل علوم الكون ظاهراً وباطناً، ومن المعلوم أن هذا الكون الذي نعرفه يحتوي على النقص كما يحتوي على الكمال، وفيه الخير والشر وفيه القليل والكثير (الصدر، محمد صادق1994، ص39).

إذن فيمكن التمسك بإطلاق تلك الآية الكريمة؛ لاحتواء القرآن على ما في الكون بما فيه ما نحسبه من النقائض والحدود، ولا ضير في ذلك ما دامت هذه الصفة تعد كمالا له من حيث الاستيعاب والشمول واللَّاتفريط، فكما يحتوي القرآن على الفصاحة والبلاغة- وهذه الصفة هي الأساسية فيه فقد يحتوي أيضًا، بل من الضروري أن يحتوي على ضدها؛ لأنه ((ما فرطنا في الكتاب من شيء) وكما يحتوي على اللغة العربية وهي سمته العامة ينبغي أن يحتوي على لغات أخرى، كما يحتوي على الظاهر العرفي، ينبغي أن يحتوي على الباطل الدقي، وهكذا.

وهنا يتبرهن أسلوب اللّاتفريط المأخوذ لفظه من الآية المشار اليها وهو باب واسع يمكن على اساسه صياغة الكثير من الاطروحات لكثير من المشاكل التي قد تثار في عدد من المواضع أو المواضيع وينسد الاعتراض عليها بأن فيها اعترافا بنقص القرآن العظيم (الصدر، محمد صادق1994، ص40).

3- الشيخ محمد هادي معرفة: يقول في التلخيص: (اتفاق كلمة الأمة في جميع أدوار التأريخ على أن النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لا غيره، الأمر الذي التزمت به جميع الطوائف الاسلامية على مختلف نزعاتهم وآرائهم في سائر المواضيع، ومن ثم لم يتردد أحد من علماء الأدب والبيان في آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها على ما يلتئم وتركيب الآية وذلك علمًا منهم بأن النظم الموجود في الآية وحي لا يتسرب اليه خطأ البته، وإنما الخطأ في فهمهم هم وفي ما استنبطوه من قواعد مرسومة ومثال

ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}سبأ: 28. فزعموا أن الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور بحرف جر والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة ومن ثم وقع بينهم جدل عريض، ودار بينهم كلام في صحة تلك القاعدة وسقمها ولجأ ابن مالك أخيرا الى نبذ القاعدة بحجة أنها مخالفة للآية (منديل، حسن 2012، ص24).

أثر المخالفة النحوية في المعنى الدلالي القرآني:

لقد كثرت أراء المفسرين في هذا الصدد ولم نر رأيا نطمئن إليه ونرتضيه، وعلى ما يبدو أنه تناقض وخروج عن أساليب العرب ومألوف كلامهم، وكأنّهم يلتمسون المعاذير للقرآن للخلل الذي ظهر فيه{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.الحجر: 9.

وللقران الكريم أن يكون جاريًا على ما عرف من أساليب العرب أو خارجًا عنها وعلى النحاة أن يصححوا نحوهم عليه وعلى الأساليب العربية أن تأخذ بما جاء به القرآن من أساليب جديدة وتجعله من مذخورها الذي تحرص له وتثرى باقتنائه (بشار، باقر،2019، ص10).

فبين يدي كل آية من آيات الكتاب العزيز نواجه معجزة لا تكشف لنا عن وجهها إلا بعد توقف ونظر، ولكننا حين نكون بين يدي آية تطلع علينا بأسلوب مغاير غير جار على قواعد النحو العربي ومقتضيات النحاة، فإننا حينئذٍ في مواجهة آية تكشف لنا عن وجه من وجوه إعجازها وتدعونا إليها وتحملنا على النظر فيها. أما نحن فلا نورد هذا السؤال ولا نتصدى للإجابة عليه بل نتقبل الأسلوب القرآني دون أن نجد فيه علة، ندعوا الى كشف أو غموض يحتاج الى بيان، وغاية ما يمكن أن نقوله: إنّ هذا هو أسلوب القرآن وعلى النحو أن يصحح قواعده عليه، وعلى البلاغة أن تضبط موازينها به (الخوئي، ابو القاسم 1974، ص82).

ولابد من الإشارة إلى أنَّ الحديث عن مثل هذه المخالفات وفق الغاية التي عرضناها، يصب في خانة الدفاع عن القرآن، فهو يأخذ بنا إلى نتيجة مفادها، أنَّ

التقصير والخلل واقعان في قواعد النحويين لا في القرآن، فلا يمكن الجمع إطلاقا بين القول بصحة القواعد النحوية وضرورة الالتزام بها وبين القول بعصمة القرآن كونه كتابا سماويًا مع وجود تلك المخالفات، فلا سبيل أمام النحويين والمفسرين للدفاع عن القرآن وقداسته إلَّا الإقرار بهذه الحقيقة التي يتهربون منها ((الصدر، محمد صادق1994، ص40).

من مواضع مخالفة مقتضى الظاهر في القرآن الكريم:

يوجد في الكتاب الكريم الكثير من الآيات القرآنية المشكلة على النحويين والمفسرين، والتي تعددت فيها أقوالهم وتوجهاتهم، وسنعرض واحدة من هذه الآيات المشكلة. وردت في سورة المائدة: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}المائدة: 69.

مع محامل المفسرين وآراء وتوجهات النحويين تفصيلًا إن شاء الله، ويسري ما نذكره أدناه على معظم مثيلاتها في القرآن الكريم، لما كان العطف هو أحد التوابع، حيث يتبع التابع المتبوع، وفيه يتبع المعطوف المعطوف عليه في الإعراب دائمًا وتأكيد ذلك آراء النحويين حيث يقول ابن جني: ((معرفة ما يتبع الاسم في إعرابه هو خمسة أضرب وصف وتوكيد وبدل وعطف بيان وعطف) (معرفة، محمد هادي د- ت ج1- ص133).

وقال ابن السراج: ((الخامس من التوابع وهو العطف بحرف، حروف العطف عشرة أحرف يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الاسماء والافعال في اعرابها) (الشنقيطي، محمد الأمين د- ت، ص،107).

موضع الاشكال في الآية المباركة أعلاه مجيء لفظ (الصابئون) مرفوعًا بالواو وهو قراءة الجمهور، والقياس نصبه (الصابئين) لكونه معطوفًا على المنصوب وهو اسم (إنَّ) في الآية وهي قراءة ابن كعب وابن مسعود وابن كثير (بشار، باقر،2019، ص13).

وقراءة النصب هي القراءة الموافقة لقواعد النحويين ولا تحتاج الى تعليل أو توجيه وبها ورد نفس اللفظ (الصابئين) في بعض الآيات، ففي سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}البقرة: 62.

ومن هنا يتضح أنَّ قراءة الرفع مخالفة للإعراب، وقد تكلَّف العلماء في توجيهها وذكروا آراء كثيرة فيها، وهي لا تعدو كونها تأويلات لا يلجؤون إليها إلا عندما يخالف النص قواعدهم الظاهرة، فجاءت محاولاتهم تبريرا لتلك المخالفات بعد أن نقض بعضها، كما في الآية التي نحن بصددها (بشار، باقر،2019، ص14).

الوجوه والمحامل المطابقة للقواعد العربية:

الوجه الاول: إنَّ كلَّ هذا من خطأ الكتاب الأوائل للقرآن الكريم، ثم أصبح الخطأ مشهوراً بين الناس كأنَّه صحيح، ويدعم هذا الاحتمال رواية عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله: {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} النساء: 162. وعن قوله: {إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}طه: 62. وعن قوله: {وَالصَّابِئُونَ} فقالت: هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب (يعني الكتابة) وما روي عن بعضهم: إنَّ في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها (ابن جني، ابو الفتح عثمان د-ت ص81).

الوجه الثاني: إنَّه اختلاف في القراءات وقد عرفنا أنَّه في القراءات أوجه كثيرة من الوهم والاجتهادات بين القراء المتقدمين كابن مسعود وغيره، ويؤيد ذلك: أنهم قالوا: وفي مصحف ابن مسعود {وَالصَّابِئُينَ}) ابن السراج، ابي بكر محمد 1992، ج6 ص25).

الوجه الثالث: إنَّ هذا الأسلوب القرآني من البيان إنَّما هو لبيان الإعجاز، بشكل لا يشبه أي أسلوب آخر، وأبلغ دليل على ذلك هو فصحاء الجاهلية وكيف خضعوا لإعجاز القرآن الكريم وعظمته، مع أنَّهم لو استطاعوا أن يطعنوا فيه من أي جهة لطعنوا، وكان ذلك أوضح في مضادة الاسلام وأهله (قطرب، ابي علي محمد 2021، ص322).

الوجه الرابع: إنَّ القرآن الكريم يحتوي على كل شيء{ما فرطنا في الكتاب من شيء}الأنعام: 38. بما فيه مخالفة القواعد العربية، فلو كانت هذه المخالفة غير موجودة لكان الكتاب غير مستوعب لكل شيء (الدينوري، أبي محمد 1971، ص38).

الوجه الخامس: اقتضت المصلحة عصيان النحاة، فليس من اللازم اطاعتهم في كل شيء، بل كأن تطبيق تلك المصلحة أولى من طاعتهم، ويؤيد ذلك ان قواعد النحو لم تكن موجودة على الاطلاق في زمن نزول القرآن الكريم فضلا عن أن يشعر الناس بأهميتها واحترامها كما أصبحت عليه الأجيال المتأخرة جرَّاء التركيز الشديد على القواعد العربية، حيث كانت العرب تتكلم على السجية، ومن هنا تشعبت اللغات ورويت هناك مخالفات نحوية كثيرة على السنتهم، رغم زعمهم أن النص العربي لا يخطأ (الخازن، علاء الدين علي1994 ج2 ص75).

الوجه السادس: إنَّه من المتسالم عليه أنَّ كلام القرآن الكريم حجة أكثر من أي شيء ورد في النصوص العربية، والنحاة لا بد أن يذعنوا بأن القرآن الكريم أقوى وأعلى من آراءهم وقواعدهم، بل أقوى وأعلى من كلام العرب أنفسهم، وحتى لو خالف القواعد القطعية لهم كان هو المتقدم والمفصح وكان غيره هو المخطئ (الطباطبائي،1973محمد حسين،ج5 ص139).

توجيهات النحاة لتلك المخالفة:

أولاً: إنَّه معطوف على محل اسم (إنَّ) المرفوع في الأصل على الابتداء قبل دخول (إنَّ) عليه فلو لم تأت بـ(إنَّ) لكان الاسم مرفوعا بالابتداء فجاء المعطوف مرفوعا عطفا على ذلك الاسم المرفوع توافقا لهذا الرأي يتساوى قولنا: (إنَّ زيداً منطلقٌ)و (زيد منطلقٌ) في المعنى (الطباطبائي،1973محمد حسين،ج5 ص139) قال الأخفش: {وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى} وقال في موضع آخر: {وَالصَّابِئُينَ} والنصب القياس على العطف على ما بعد (إنَّ) فأما هذه فرفعها على وجهين كأن قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا }في موضع رفع في المعنى؛ لأنَّه كلام مبتدأ؛ لأنَّ قوله:

(إنَّ زيداً منطلقٌ) و(زيد منطلقٌ) من غير أن يكون فيه (إنَّ) في المعنى سواء، فإن شئت إذا عطفت عليه شيئاً جعلته على المعنى. كما قلت: (إنَّ زيدا منطلقٌ وعمرو) ولكنَّه إذا جعل بعد الخبر فهو أحسن وأكثر) (الصدر، محمد صادق 1994، ج1 ص306).

ثانياً: نحاة البصرة وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي إن قوله {وَالصَّابِئُون} مرفوع بالابتداء وبنية التأخير والمعنى: ان {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والذين هادوا والنصارى} حكمهم كذا {وَالصَّابِئُونَ} كذلك، ونظيره (إنَّ زيدا وعمرو قائم، والتقدير: إنَّ زيدًا قائم وعمرو قائم، فحذف خبر عمرو لدلالة خبر إنَّ عليه والنيَّة بقوله: وعمرو، التأخير ويكون عمرو قائم بخبره هذا المقدر معطوفًا على الجملة من أنَّ زيداَ قائمٌ وكلاهما لا موضع له في الإعراب) (الدينوري، ابن قتيبة 1971،ص38) وهذا الوجه استحسنه بعضهم ورجحه على غيره.

ثالثا: إنَّ الواو في {وَالصَّابِئُون} اعتراضية و{الصَّابِئُون} مبتدأ خبره محذوف تقديره (كذلك) يدل عليه خبر (إنَّ) المتأخر عنه فتصبح الجملة الاسمية (والصابئون كذلك)جملة معترضة بين اسم (إنَّ) وخبرها وهو رأي الرضي واستحسنه بعض المتأخرين (الدينوري، ابن قتيبة 1971، ص38).

رابعا: إنَّه مرفوع لأنَّه معطوف على الضمير المرفوع في{ هادوا }وكأنَّه قال: (هادوا هم والصابئون) وهذا ما ذهب اليه الكسائي والأخفش (الدينوري، ابن قتيبة 1971، ص307).

خامسا: إنَّه معطوف على الضمير في (آمنوا) وقام الفصل بينهما مقام التوكيد، وهذا التوجيه منقوص بورود (الصابئون) (الزركشي، بدر الدين 1996، ج4ص325) في آيات أخر بالنصب كما ذكرنا.

سادسا: إنَّ {الصَّابِئُونَ} منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالفتحة مع الياء في بنين وسنين جوز بالواو (الأخفش، أبو الحسن سعيد،1991، ج1ص285) وهو رأي شاذ لم يلق استحسانا.

سابعا: إنَّ ذلك جاء على لغة بلحارث بن كعب الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال، وهو رأي ابعده العكبري وضعفه لقلة المستعملين له (الزركشي، بدر الدين 1996، ج4 ص325).

ثامنا: أنَّ تكون إنَّ بمعنى (نعم) وما بعده مرفوع بالابتداء فيكون الصابئون معطوف على المرفوع (ابن الحاجب د-ت ج4ص355).

تاسعا: إنَّ خبر إنَّ محذوف تقديره: فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، دل عليه المذكور، {والذين هادوا }مبتدأ و{الصَّابِئُون} معطوف على المبتدأ وخبره قوله: فلا خوف عليهم ورجحه الدكتور الطنطاوي (النحاس2008،ج2 ص32)

عاشرا: إنَّ النون هو حرف الإعراب وليس الواو، وهو رأي مردود أيضًا (العكبري، عبد الله بن الحسين،2009، ج1 ص212).

الخاتمة:

يمكن إيجاز نتاج البحث بما يأتي:

1- إن الخوض بالحديث عن علاقة القرآن بالنحو وتشخيص الخلل في قواعد النحويين ومنهجهم هو أحد أساليب درء الشبهات عن القرآن الكريم والدفاع عنه.

2- ان القرآن الكريم لا يخلو من المخالفات الاملائية والصرفية والبلاغية، وهذا يأخذ بنا الى الاعتقاد بوجود المخالفات النحوية التي أقر بها بعض العلماء وذهب الآخرون الى تبريرها.

3- الحركات الإعرابية واهتمام النحويين فيها واعتمادهم الأساسي عليها في توجيه المعنى، جعلهم في حرج شديد اتجاه الآيات التي ظاهرها مخالفا لقواعدهم، فلجأوا الى كل السبل لتأويلها؛ حفاظا على صناعتهم اللفظية.

4- ينبغي الإقرار بالأخطاء التي اتسمت بها قواعد النحو وابعاد الهالة القدسية عنها؛ كونها قواعد وضعية من صنع البشر، بدليل مخالفتها القرآن الذي اتفقت

عليه كلمة الأمة في جميع أدوار التأريخ على أن النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لا غيره.

5- اعتبارها وجه من وجوه التحدي الذي جاء به القرآن الكريم وردًا على عصيان النحاة، فليس من اللازم اطاعتهم في كل شيء، بل كأن تطبيق تلك المصلحة أولى من طاعتهم، ويؤيد ذلك ان قواعد النحو لم تكن موجودة على الاطلاق في زمن نزول القرآن الكريم فضلا عن أن يشعر الناس بأهميتها واحترامها كما أصبحت عليه الأجيال المتأخرة جرَّاء التركيز الشديد على القواعد العربية.

6- احتواء القرآن الكريم على كل علوم الكون ظاهرًا وباطنًا، وأن هذا الكون الذي نعرفه يحتوي على النقص كما يحتوي على الكمال، فيمكن التمسك بقوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} لاحتواء القرآن على ما في الكون، من النقائض والحدود وهذه الصفة تعد كمالا له من حيث الاستيعاب والشمول واللا تفريط، فكما يحتوي القرآن على الفصاحة والبلاغة، فقد يحتوي ايضاً على مخافة القواعد النحوية.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت1258هـ) المكتبة المصرية- القاهرة، ط1.
- إعراب القرآن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس. (ت338هـ)، تح الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 1429.

- الأصول في النحو ج6، أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت316هـ) تح: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3 1417هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه ج1، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (ت794هـ) الزركشي، قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت، الطبعة الثانية،1413هـ.
- البيان في تفسير القرآن، الخوئي أبو القاسم بن علي أكبر (ت1413هـ)، مطبعة الآداب- النجف، 1966، (د- ط).
- التبيان في اعراب القرآن ج1، عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، 1976.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف لجنة من العلماء، اشراف مجمع البحوث الاسلامية، مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1913.
- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، د.حسن منديل حسن العكيلي، دار الكتب العلمية2012 ط1.
- الكتاب الفريد في اعراب القران المجيد ج1، العلامة المنتجب الهمداني، تح: محمد نظام الدين الفتيح، المدينة المنورة، ط1، 1427.
- اللباب في علل البناء والاعراب ج1، أبو البقاء العكبري محب الدين عبد الله بن الحسين البغدادي (ت616هـ) تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد- القاهرة، ط1، 1430.
- اللمع في العربية - ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني (ت392هـ) تح: فائز فارس (د- ط)
- تأويل مشكل القرآن، أبي محمد بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، ت: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان-1971.

- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت791هـ)، تح: د. محمود أحمد الأطرش، مؤسسة الايمان، بيروت- لبنان، ط1، 1421.
- تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ (تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
- تفسير القرآن بالقرآن من اضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ت1974) مؤسسة الاعلمي (د- ط)،
- تفسير الميزان ج5، العلامة محمد حسين الطباطبائي، دار الأعلمي، الطبعة الثالثة، 1973.
- تلخيص التمهيد في علوم القرآن، الجزء الأول، محمد هادي معرفة (1427هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي (د-ط)
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) تح: حسين أسد (ج- 1، 6)
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ج4، تحـ: د. حسن محمد بن ابراهيم الحفظي، دار الثقافة والنشر- السعودية، (د-ط).
- علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ص 61)
- ما وراء الفقه ج1، السيد محمد محمد صادق الصدر، شبكة ومنتديات جامع الأئمة عليهم السلام الاسلامية، فريق عمل الكتب الالكترونية.

- مشكل القرآن، شمس الدين الواعضي (ت1356هـ)، مكتب سماحة اية الله العظمى شمس الدين الواعظي (د- ط)
- معاني القرآن ج1، أبي الحسن سعيد بن مسعدة (ت215هـ) للأخفش، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط1، 1411.
- معاني القرآن وتفسير مشكله وإعرابه، أبي علي محمد بن المستنير، قطرب (ت214هـ) د. محمد لقريز، مكتبة الراشد، ط1، 2021م.
- مقتضى الحال، مفهومه وزواياه في ضوء اسلوب القرآن الكريم، سميرة عدلي رزق، ج2 (د-ت).
- منة المنان في الدفاع عن القرآن الجزء الاول، محمد صادق الصدر (ت1996) مكتبة الشهيد محمد صادق الصدر- النجف (د- ط).
- اثبات مخالفة القرآن لقواعد النحو العربي، د. بشار باقر، 2019.
-أثر السياق في توجيه أساليب النحو في القرآن الكريم، علي عبد الأمير هبن العابدي، 2021، رسالة ماجستير.